الخليج

كتب و كتاب

29 يناير 2023 00:01 صباحا

يوم الانتخابات

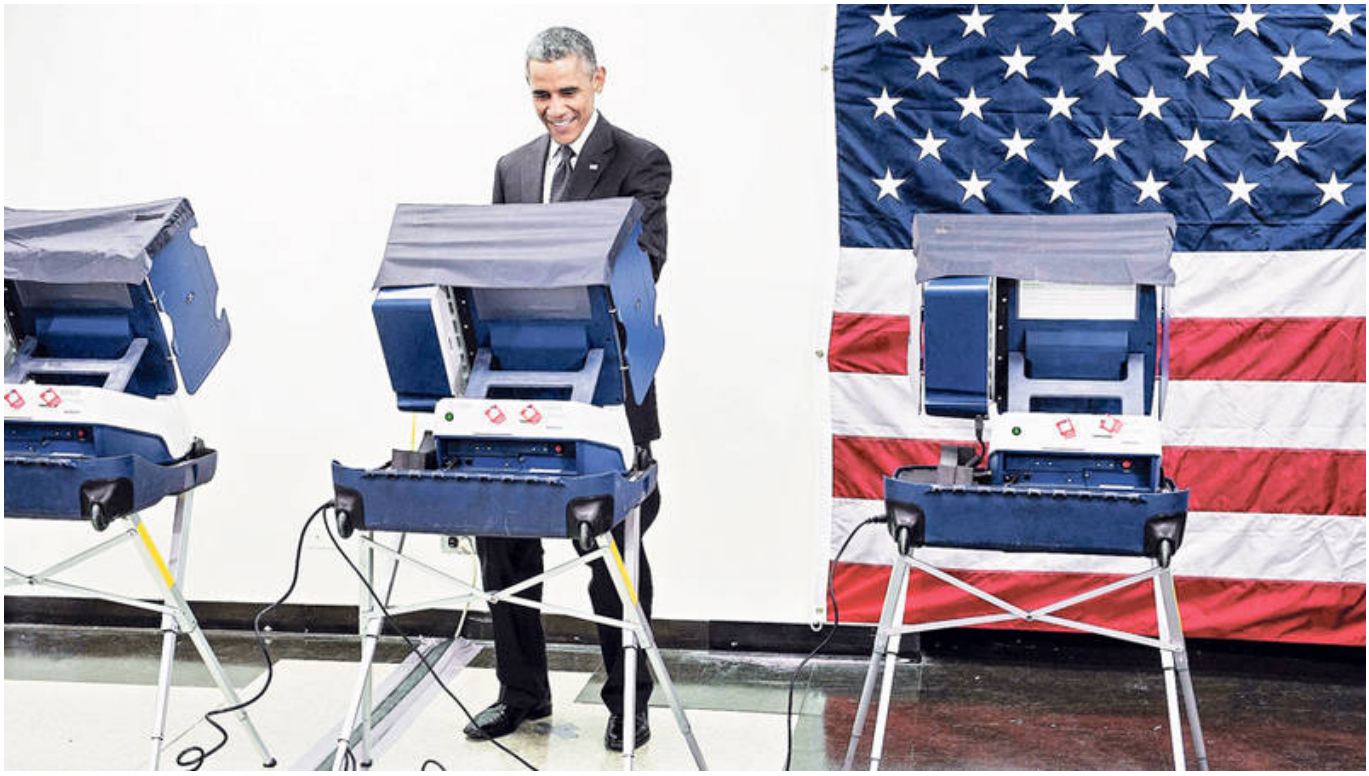

عن المؤلف

إيميلي بوث تشابمان
إيميلي بوث تشابمان أستاذ مساعد في العلوم السياسية بجامعة ستانفورد

تجسد الانتخابات انعكاساً للقيم الديمقراطية وتؤدي وظائف أساسية في المجتمعات الحرة، وبناء على ذلك يصف هذا الكتاب الديمقراطية مشروعاً جماعياً وفردياً، يهدف إلى إحقاق المساواة في المواطنة وحفظ الكرامة الإنسانية، ويناقش كيفية تحسين النظام الانتخابي في أمريكا الشمالية وأوروبا.

يدافع هذا العمل عن القيمة الفريدة للتصويت في نظام ديمقراطي، فالتصويت هو أحد الطرق العديدة التي يمكن للمواطنين من خلالها المشاركة في صنع القرار العام، فلماذا يحتل هذه المكانة المركزية في المخيلة الديمقراطية؟ تقدم المنظرة السياسية إيميلي بوث تشابمان في هذا الكتاب، إجابة عن هذا السؤال، موضحة بدقة عما هو مميز حول كيفية تصويتنا في ديمقراطيات اليوم.

تقدم المؤلفة وصفاً شاملاً لممارسات التصويت الشعبية وكيفية الملاءمة مع الأنظمة الديمقراطية المعقدة؛ إذ تدافع عن المواقف الشعبية تجاه التصويت ضد النقاد الراديكاليين وتقدم إرشادات ملحة لإصلاح التصويت. توضح تشابمان أن تحقيق هذه الغايات بالكامل لا يعتمد فقط على الفرصة الواسعة للتصويت، لكن أيضاً على المستويات العالية من

المشاركة الفعلية على نحو مستمر، وأن تجارب المواطنين في التصويت مهمة بقدر أهمية الخصائص الرسمية لنظام .التصويت، وترى أن هذه الأفكار ضرورية أيضاً لصياغة مقترحات الإصلاح الانتخابي وتقييمها

الصورة

التصويت في الديمقراطيات الحديثة

يلقي الكتاب الضوء على تجربة المواطنين في الدول الديمقراطية عند الذهاب إلى صناديق الاقتراع، محاولاً استعادة القيمة الكاملة والمهمة للتصويت الديمقراطي اليوم. يبحث هذا الكتاب في أغراض التصويت الشعبي في الديمقراطيات الحديثة ضمن هدفين: الأول هو الدفاع عن مركزية التصويت في المفاهيم الشعبية للمواطنة الديمقراطية وكذلك في مشهد الانتخابات. تقول المؤلفة عن ذلك: «حتى بين مجموعة كبيرة من المنظرين السياسيين الذين يرفضون الانتقادات الراديكالية للتصويت، لا يزال من الشائع أن نندب الأعراف الاجتماعية والاستعارات الاستطرادية التي يبدو أنها تعامل التصويت على أنه بمثابة فيلم الرسوم المتحركة «ألفا وأوميغا» بالنسبة للديمقراطية. بعض المنظرين يذهبون إلى أبعد من ذلك في انتقاد جوانب معينة من المعاملة الشعبية للتصويت، بما في ذلك الفكرة الواسعة الانتشار لواجب .«التصويت، و«التركيز على نسبة المشاركة العالية، ومشهد الانتخابات ونفقاتها

تضيف الكاتبة قائلة: «هذه الانتقادات مضللة. يلاحظ المشككون في مركزية التصويت أن التصويت هو مجرد مكوّن من بين العديد من المكونات الأساسية للديمقراطية الحديثة المعقدة. تتطلب الديمقراطية المزدهرة أيضاً ممارسات التداول والتشاور والتفاوض والالتماس والطعن وحتى المقاومة. لكننا لسنا بحاجة إلى الاعتقاد بأن التصويت أهم من الممارسات الديمقراطية الأخرى. نحن بحاجة إلى مجموعة فريدة من الأساليب الهادفة. يجمع التصويت الشعبي بين الطموح نحو المشاركة العالمية، والتطبيق الملموس والشفاف للمساواة، وإيقاع اللحظات الحاسمة والنتائج التشاركية .«لخلق تجربة فريدة للمواطنة الديمقراطية

توضح المؤلفة في هذا الكتاب، أن بعض ميزات ممارسات التصويت الشعبية هذه والتي استقطبت أكبر قدر من النقد هي في الواقع ضرورية لأغراض التصويت، فهي تخلق أمثلة حقيقية لجوانب فريدة ومهمة من القيم الديمقراطية، وتسهم .في الوظائف الديمقراطية الحيوية

الصورة

أما الهدف الثاني من وراء اشتغال المؤلفة على هذا العمل هو توجيه الجهود لتحسين الانتخابات والتصويت. وتعلق الكاتبة على ذلك: «إن إصلاحات التصويت من نوع أو آخر هي موضوع نقاش دائم في الديمقراطيات الحديثة، لكن الاهتمام والصراع بشأن إصلاحات التصويت قد وصل إلى ذروته في الولايات المتحدة على مدى السنوات القليلة الماضية. قامت العديد من حكومات الولايات، الجمهورية والديمقراطية على حد سواء، بإجراء تغييرات جوهرية على إدارتها الانتخابية في السنوات الأخيرة، لكنها اتخذت مسارات إصلاح متباينة. أصبحت إدارة التصويت قضية بارزة ومثيرة للجدل في السياسة الوطنية أيضاً. أعلن الديمقراطيون في الكونغرس أن إصلاح التصويت الفيدرالي يمثل أولوية

قصوى وقدموا مقترحات إصلاح شاملة تمس كل شيء من تمويل الحملات وإعادة تقسيم الدوائر إلى تسجيل الناخبين في نفس اليوم والتصويت بالبريد. أدى تدافع الدول لاستيعاب انتخابات رئاسية عالية الإقبال في خضم جائحة كورونا ومزاعم القادة الجمهوريين الملحة بالتزوير في انتخابات 2020 إلى زيادة مرارة وإلحاح مناقشات الإصلاح الانتخابي في الولايات المتحدة».

تشير الكاتبة إلى أن «الحماس للإصلاح الانتخابي ينتشر مدفوعاً بالإيمان بأن الديمقراطية الانتخابية يمكن وينبغي أن تعمل بشكل أفضل. لكن هذا وحده لا يساعدنا في تقييم أجندات الإصلاح المتنافسة أو الأسباب المنطقية وراءها. يجب أن ترتكز جهود الإصلاح الفعالة على رواية واضحة للأغراض التي من المفترض أن يخدمها التصويت».

لا تهدف المؤلفة في هذا العمل إلى تقديم مخطط تفصيلي أو جدول أعمال لإصلاح النظام الانتخابي. بدلاً من ذلك، تقدم بعض المبادئ التوجيهية لمن يرغبون في أن يصبحوا مصلحين. في بعض الأحيان، توضح كيف يمكن أن تؤثر هذه المبادئ في بعض القضايا الحية، مثل مبادئ ترسيم الدوائر الانتخابية أو التحرك نحو «التصويت الملائم». لكن حساب القيمة المميزة للتصويت الذي تقدمه في هذا الكتاب يُقصد به أن يكون قابلاً للنقل عبر سياقات متعددة، موضحة أنه يمكن أن تقودنا مجموعة من الخلافات إلى مناقشة كيفية تصويتنا، وستكون الرؤى المختلفة أكثر صلة أو صدى للأنظمة السياسية المختلفة في أوقات مختلفة. لذلك ستظل المبادئ التي تقدمها لتقييم ممارسات التصويت وتحسينها ذات صلة حتى بعد الانتقال من المناقشات الحالية. وترى الكاتبة أنه يمكن أيضاً تطبيقها خارج الأنظمة السياسية في أمريكا الشمالية وأوروبا.

إصلاح النظام الانتخابي

يصف الفصل الأول ممارسة التصويت الشعبي ويحدد قيمة (قيم) هذه الممارسة التي تقع في صميم الكتاب. بالاعتماد على الأبحاث الاستقصائية وتاريخ حركات الاقتراع والممارسات الإدارية والمنح الدراسية التجريبية، تظهر المؤلفة عمق ارتباط المواطنين بممارسة التصويت وتحدد السمات المعيارية الأساسية الثلاث للتصويت الشعبي ممارسةً ديمقراطية. في هذا الفصل، تقدم لمحة عامة عن جوانب قيمة الديمقراطية التي يؤدي التصويت إلى إنشائها بشكل فريد. تجد أيضاً أن التصويت الشعبي يؤدي وظائف أساسية تدعم ثقافة ديمقراطية صحية. لا تركز المؤلفة المناقشة في هذا الفصل على أن التصويت هو الممارسة التشاركية الوحيدة أو حتى الأكثر أهمية في المجتمعات الديمقراطية؛ بل بالأحرى أنه يلعب دوراً أساسياً ـ خاصة في المجتمعات الكبيرة ـ ولا يمكن استبداله بأشكال أخرى من المشاركة. علاوة على ذلك، فإن قيمة الدور المتميز للتصويت في الديمقراطية الحديثة تتشكل جزئياً من خلال بروزها الخاص في معتقدات المواطنين حول الديمقراطية.

قيود التصويت

يلخص الفصل الثاني القيود المهمة على إمكانية التصويت على تحقيق القيم الديمقراطية. ترى المؤلفة أن هذه القيود لا تقوض قيمة التصويت، لكنها تكشف كيف أن قيمة التصويت تعتمد على ملاءمتها لنظام ديمقراطي أوسع. يركز هذا الفصل على تحديين محتملين لقيمة إجراءات التصويت. الأول هو مشكلة «المدخلات»: تُستمد قيمة الانتخابات ونتائجها من قيمة الفاعلية السياسية للمواطنين الأفراد. وبالتالي، يجب أن تعكس التفضيلات التي يعبر عنها الناخبون بأصواتهم ما نعتقد بأنه ذو قيمة فيما يتعلق بقراراتهم الفردية. وبالتالي قد تتضاءل قيمة التصويت إذا كانت أحكام الناخبين أقل بكثير من معايير العقلانية أو الأصالة، ما يعكس تأثير التحيزات المعرفية، أو تلاعب النخبة، أو المعلومات

المضللة. التحدي الثاني المحتمل لقيمة إجراءات التصويت هو مشكلة «المخرجات»، والمعروفة أيضاً بمشكلة الاختيار الاجتماعي. حتى إذا كانت الأصوات الفردية تحمل قيمة الوكالة الفردية، فليس من الممكن دائماً تجميعها بطريقة تحافظ على تلك القيمة وتحولها إلى النتيجة الانتخابية. يجب أن يكون أي حساب لدور التصويت في الديمقراطية الحديثة حساساً لهذه التحديات المحتملة. ومع ذلك، تزعم الكاتبة أنه في الاستجابة لهذه التحديات، كان المنظرون الديمقراطيون في بعض الأحيان متحمسين للغاية في إبعاد المثل الأعلى للديمقراطية عن الممارسة المركزية للتصويت الشعبي، وتقول: «يُظهر النهج المنهجي لتقييم الممارسات الديمقراطية كيف يمكن أن يحتل التصويت الشعبي دوراً بارزاً ومركزياً في حياتنا المدنية مع تجنب الانتقادات «الواقعية» التي غالباً ما تكون نظريات الديمقراطية الانتخابية عرضة لها».

يناقش الفصل الثالث المعايير التقييمية المتعلقة بثلاثة جوانب رئيسية للتصويت الشعبي: هدف المشاركة العامة، واختيار قواعد التصويت التي تحقق المساواة الكلية، وأهمية الاهتمام بكيفية تجربة المواطنين لحظات التصويت. يقارن هذا الفصل أيضاً طبيعة التصويت الشعبي في الانتخابات مقابل الاستفتاءات ويأخذ في الاعتبار أنواع الأسئلة الأكثر ملاءمة للتصويت الشعبي. يقدم الفصل الرابع عنصراً آخر في ممارسة التصويت الشعبي: السياسة الحزبية. لعبت الأحزاب السياسية والأنظمة الحزبية دوراً رئيسياً في تطوير الممارسات المعاصرة للتصويت الشعبي والحفاظ عليها. تلعب السياسة الحزبية أيضاً دوراً رئيسياً في اندماج التصويت في النظام الأوسع للحكم الديمقراطي. يبحث هذا الفصل دور الأحزاب السياسية في ممارسة التصويت والمبادئ التي يجب أن نستخدمها لتقييم الأشكال المختلفة للسياسة الحزبية.

نظام الحزب

بعد تحديد بعض المبادئ الأساسية لوضع الأجندة الديمقراطية بإيجاز، تدافع المؤلفة عن نموذج نظام الحزب باعتباره نقطة الانطلاق المناسبة لوضع تصور لعمليات وضع الأجندة الديمقراطية. أخيراً، تتناول بعض النماذج المرشحة لاتباع سياسة حزبية صحية، وترى أن نموذجاً مثالياً للأحزاب يوفر أفضل معيار لتقييم السياسات الحزبية وتوجيه الجهود لتحسين أنظمة الحزب، والمنظمات الحزبية، والممارسات الحزبية.

تدور القيمة المميزة للتصويت الشعبي في الديمقراطية حول التجربة المشتركة للمواطنين في يوم الانتخابات، لذلك تناقش المؤلفة في الفصل الخامس أهمية بعض التفاصيل الدقيقة للإدارة الانتخابية التي تشكل البيئة التي يدلي فيها المواطنون بأصواتهم والتي تؤثر بالتالي في كيفية إدراك المواطنين لأهمية التصويت. يناقش الفصل إيجابيات وسلبيات الإدارة الانتخابية اللامركزية وإبراز أهمية الأحزاب في يوم الانتخابات.

ويتطرق الفصل السادس إلى الدور الذي لعبه التصويت في الممارسات الديمقراطية، وتتساءل فيه المؤلفة: «لماذا يجب أن نهتم بقيم التصويت التي سيخدمها التصويت في الديمقراطيات القائمة؟ لماذا لا نركز طاقتنا واهتمامنا بدلاً من ذلك على التصميم التشاركي لديمقراطية مثالية؟ «في هذا الفصل، تقدم رداً على هذا الخط من النقد المستوحى من التقليد الواقعي في النظرية السياسية. لكن الأهم من ذلك، ترى أن هناك أسباباً داخلية للديمقراطية لتقييم الممارسات القائمة وأن هذه الأسباب تلعب دوراً مهماً في التفكير العملي حول أخلاقيات الديمقراطية.

وتختم الكاتبة: «مع تغير المجتمعات البشرية في العقود القادمة، ستتغير طريقة تصويتنا أيضاً. من المهم أن يكون لدينا فهم واضح للقيم التي يخدمها التصويت في الديمقراطيات الحديثة لتوجيه هذه التغييرات وفهم تداعياتها على

حياتنا المدنية». على العموم، يوجّه الكتاب دعوة إلى الخبراء وصانعي السياسات والقادة السياسيين للتفكير في كيفية الحفاظ على القيمة الفريدة للتصويت وتعزيزها تمهيداً لاستقبال عصر جديد من الديمقراطية.

ترجمة وعرض:

نضال إبراهيم

"حقوق النشر محفوظة "لصحيفة الخليج .2024 ©